محاضرات مادة الفكر السياسي الإسلامي المعاصر/المرحلة الرابعة/ قسم العلوم السياسية[1]

أ.د.هادي مشعان ربيع

عنوان المحاضرة : مفهوم الدولة واهم أركانها في الفكر الإسلامي المعاصر

.....

ما مفهوم الدولة في الفكر الاسلامي المعاصر؟

لايوجد اتفاق تام على المفاهيم المتداولة في العلوم الاجتماعية والدولة واحدة من تلك المفاهيم التي تعددت تعاريفها فلا نجد لها تعريفاً مانعاً جامعاً . وربما يفسر ذلك التعدد اختلاف الباحثين في طريقة تناولهم لموضوعة الدولة ، والزاوية المعرفية التي ينطلقون منها كما ان الكثير من التعاريف صدرت من فلاسفة ومفكرين ليسوا من بيئة علميته واحدة ولا من لون فكري وسياسي او اجتماعي واحد، غير ان المتفق عليه انها تمثل الذروة التي تتوج البناء الاجتماعي الحديث وتكمن طبيعتها التي تنفرد بها وسيادتها على جميع اشكال التجمعات الاجتماعية الاخرى، فالدولة كيان مؤسساتي متعالي عن المجتمع وتنا قضاته ، يمارس هيمنتة عليه من خلال تمتعه بهيبة رمزية تحتكر استخدام القوة على الرعايا. وهي تجمع بشري مرتبط باقليم يسوده نظام سياسي وقانوني موجه لمصلحتهم المشتركة وتحرص على المحافظة على هذا التجمع سلطة مزودة بقدرات تمكنها من فرض النظام ومعاقبة من يهدده بالقوة" .

---

١ - مصادر المحاضرة:

١- تقي الدين النيهاني ، الدولة الاسلامية ،ط٧ ، (بيروت : دار الامة ٢٠٠٢) ، ص٣٦

٢- محمد المبارك ، نظام الاسلام ، الحكم والدولة ، (طهران : رابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية ، ١٩٩٧ ، ص١٣٧-١٣٨

- أمل هندي كاطع ود.خليل مخيف الربيعي، الفكر السياسي الاسلامي المعاصر، بيروت ، دار السنهوري، ٢٠١٩.ص ص١٥-٢٢.

وتجدر الاشارة الى ان الدولة في الفكر الغربي نتاج من نتاجات عصر النهضة والحداثة الاوربي ، وان كانت على مستوى التنظير والفكر تمتد الى تأملات العقل السياسي الاغريقي في دولة المدنية ومستمد من اللفظ اللاتيني "status".

وتدور معظم تعريفات الفكر السياسي الاسلامي المعاصر في فلك المفاهيم والتعريفات المتداولة في الفكر الغربي ، رغم ان الفكر الاسلامي يتميز في تعريفه اللغوي للدولة ، فالدولة (بالضم) تعني العقبة وجاء في قوله تعالى "كي لايكون دُولة بين الاغنياء منكم"*(الحشر الاية ٧)كما جاءت الدولة برفع الدال في قوله تعالى "وتلك الايام نداولها بين الناس "*(ال عمران الاية ١٤٠) فدالت الايام اي دارت وتحولت عن قوم الى قوم اخرين ، اي ان الدولة وفق تلك المعاني تشير الى الفعل والانتقال من حال الى حال ، بمعنى دار او تبدل وتغير من حال الى اخر.

ويؤرخ للاهتمام بمفهوم الدولة في الفكر السياسي الاسلامي المعاصر بالقرن التاسع عشر مع بدايةالاحتكاك بالغرب وضعف الخلافة العثمانية كما كان استجابة للتحدي الذي فرضه مفهوم الدولة الوطنية على المسلمين بعد الغاء السلطنة وحلول دولة وطنية متعددة محلها لاسيما بعد ان طرح الفكر الاسلامي نفسه بديلاً عن الانظمة السياسية القائمة من خلال رفعه لشعار الدولة الاسلامية .

هذا التناول المفهوم الدولة تكرر في طروحات منظري الدولة في الفكر الاسلامي المعاصر ، والاختلاف يكمن من حيث التوسع والايجاز او من حيث الدولة والوضوح وضبط المفاهيم ، فتعرف الدولة الاسلامية بانها "قوة مقيدة التصرف بالشرع ووسيلة ضرورية دائمية توجدها الامة لتنفيذ احكام الشرع في المجتمع الذي تحكمه افراداً وجماعات وتحمل الدعوة الاسلامية الى العالم"، كما تعرف بانها " دولة عقائدية رابطتها عقيدة وفكر ونظم وتشريع ينبثق عنها في اطار مبدأ واحد هو الاسلام".

اركان او عناصر الدولة في الفكر الاسلامي المعاصر

ان الدولة الاسلامية وفق الرؤية الاسلامية تستوجب دراسة عناصرها الاسلامية حسب تلك الرؤية .

اولا- الاقليم : لم يبحث الفقهاء موضوع ارض الدولة الا في اطار العلاقة مع الاخر تحت عنوان دار الاسلام ،وربما يعود الامر الى التطابق في العصور الاسلامية الاولى بين ارض الدولة والامة في وضع خارجي واحد كما حدث في زمن الرسول "ص" ومابعده ، حيث كانت الامة كلها في دولة واحدة ، ففي تلك الحالة كانت دار الاسلام هي ارض الدولة وارض الامة ايضاً ، والكل يشكل سيادة واحدة ولايمكن وضع حدود جغرافية لها من جهة ارتباطها بنمو الامة واتساعها

اما في الوقت الحاضر فانه يمكن تصور مجموعة من الحالات لارض الدولة الاسلامية :

أ- التطابق بين الدولة والامة وهذه الحالة صعبة لتحقيق الان في ظل الاوضاع الدولية وتشتت المسلمين في بقاع مختلفة من الارض .

ب- توزع الارض الخاصة بالامة الاسلامية الى دول متعددة كما هو حاصل الان .

ج- وجود ارض اسلامية محتلة او مسلوبة من قبل غير المسلمين.

د- وجود ارض يقطنها غالبية مسلمة ولكنها جزء من دولة غير اسلامية.

ولذا يمكن القول ان التطابق بين الارض والامة لم يعد له وجود في الواقع ، فالدولة ترتبط بالارض، والامة ترتبط بالعقيدة وما زال يتردد في الفكر الاسلامي المعاصر نظرية الحدود المرنة ، لان الدولة الاسلامية لاتعرف بنفسها بحدود لانها قائمة على اساس فكري .

ثانيا– الامة : وهي العنصر الثاني من عناصر الدولة ، وقد اتجهت بعض الدراسات الاسلامية الى استخدام مصطلح الشعب للتعبير عن أبناء الدولة الاسلامية ، بينما تعامل اغلب المفكرين الاسلامين مع الشعب بمصطلح الامة .

استناداً الى ماتقدم من اراء وطبقاً لمفهوم الامة تطرح من الناحية السياسية قضيتي المواطنة والاقليات الدينية .

اولاً : المواطنـــــة : احـدى المشـاكل التـي ينتجهـا مفهـوم الامـة الاسـلامية فـي اطـار الدولـة الحديثـة هـو مفهـوم المواطنـة ، والمواطنـة مفهـوم سياسـي ، قـانوني ، اجتمـاعي ، يقـوم علـى اسـاس انتمـاء الفـرد الـى وطـن معـين بالسـكنى ، ممـا يعـزز مجموعـة مـن الحقـوق والواجبـات السياسـية كحـق الترشـيح والانتخـاب والمشـاركة السياسـية ضـمن الاحـزاب ومنظمـات المجتمـع المـدني ، كمـا ان مـن مظـاهر انتمـاء الفـرد الـى الـوطن حصـوله علـى جنسـية ذلـك البلـد وكـذلك تمتعـه بحق السكن والاقامة الدائمة في الوطن .

وهذا المفهوم من المفاهيم التي تعززت في ظل الدولة القومية الحديثة التي قامت على اساس الانتماء الجغرافي وهو اكثر ارتباطاً بالشعب منه بالامة ، وتطرح في الفكر الاسلامي المعاصر نظريتان حول المواطنة .

النظريـــة الاولـــى :تـرى تمتـع الفـرد فـي الدولـة الاسـلامية بحـق المواطنـة بغـض النظـرعن الانتمـاء الـديني ، وتسـتند هـذه النظريـة علـى وثيقـة المدينـة والتـي يؤسـس عليهـا الـرأي القائـل ان الاسـلام تقبـل فكـرة تاسـيس مجتمـع متنـوع فـي دولـة واحـدة ونظـام حكـم واحـد علـى اسـاس الاسـلام وتمتـع الجميـع فيهـا بحـق المواطنة الكاملة .

النظرية الثانية :تعتمد هذه النظرية الدين اساساً للمواطنة دون ان تلغي وجود اديان اخرى في الدولة ، اي انها ترى اختصاص المواطنة بالمسلم دون غيره . وطبقاً لهذه النظرية فان قضية المواطنة تواجه مشكلة مزدوجة تكمن في:

أولاً- حق المسلم غير الساكن في الدولة الاسلامية عالج الفكر الاسلامي القضية الاولى من خلال اشتراط شروط اضافية على المسلم خارج الدولة الاسلامية منها التوطن في البلد الاسلامي ، واضيف شرط اخر هو قبول الدولة المسلمة بذلك ، فلا يكفي التوطين وحده بل يحتاج الى اجراءات فنية منها طلب الانضمام الى الامة وقبول الدولة الاسلامية بذلك . وهذا اجراء اداري متبع في اغلب دول العالم ، وبهذا يكون الفكر الاسلامي قد استعار اليات الافكار الاخرى لحل مشكلة المسلم غير المستوطن في الدولة الاسلامية .

ثانياً : قضية غير المسلم في الدولة الاسلامية وتمتعه بالمواطنة ، فقد ارتاى فريق من المفكرين الاسلامين تطبيق المفاهيم التي اعتمدها الفكر الاسلامي في تجربتة التاريخية مثل عهد الذمة والجزية ، وحاول اخرين اكثر فهماً للواقع اضفاء الفاظ حديثة على مفهوم اهل الذمة حيث اجيز استخدام لفظ المواطنة والمواطنين بدلاً عنه.

ثالثاً : السلطة السياسية : تعد السلطة السياسية ركن من اركان الدولة ، وحجر الزاوية بالنسبة لكل تنظيم سياسي ، وتكمن حقيقها في اعتقاد المحكومين انها قادرة على توفير ما يحتاجون اليه من أمن مادي ونفسي ، على تنوع صور الامن وتعددها ، واذا كانت السلطة تعني القدرة على حكم الاخرين وانفاذ الامر، فان تلك السلطة تعتمد على عوامل نفسية واقتصادية واجتماعية ان جانب اعتمادها على القوة المادية .

وسوف نكمل الكلام في المحاضرة القادمة